

الدور التاريخي للإمام محمد بن عمر الهواري في مدينة وهران

The historical role of Imam Muhammad bin Omar Al-Hawari in the city of Oran.

عبد الوهاب الهاشمي

أستاذ محاضر (ب)

المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان - الأغواط - el.abdelouahab@ens-lagh.dz

تاريخ النشر: 2024/11/15

تاريخ القبول: 2024/11/12

تاريخ الاستلام: 2024/10/10

ملخص:

إن التأريخ للمدن الجزائرية من أهم البحوث والكتابات التي تحتاج إلى كثير من التدقيق والتمحيص لأهمية هذه المدن وما وقع فيها من الأحداث الهامة والوقائع الكبرى، ولذلك يعتبر التأريخ لها من القضايا التاريخية المطروحة لدى الباحثين في إطار صياغة تاريخ الجزائر عامة وتاريخ مدنها خاصة، لأن هذه المدن الجزائرية كثيرا ما تعرضت لعمليات الطمس والتشويه لتاريخها، ولقد تعرضت مدينة وهران إلى كثير من عمليات الهدم والطمس والتخريب لجل مرافقها ولعالمها الحضارية: العمرانية والفنية والدينية والثقافية والاقتصادية خاصة من طرف الإسبان ثم من طرف الفرنسيين بعد ذلك، فمن خلال هذا المقال سنتطرق لتاريخ مدينة وهران وذلك من خلال عالم من علمائها سيدي محمد بن عمر الهواري ودوره التاريخي فيها،

وذلك بترجمة و بتسليط الضوء على أهم الجوانب التاريخية لهذه المدينة في عهده. وإلى خاتمة نستعرض فيها أهم الأدوار التاريخية له في هذه المدينة.

كلمات مفتاحية: محمد بن عمر الهواري- مدينة وهران- الدور التاريخي - الأحداث التاريخية- المجتمع الوهراني.

Abstract:

The history of Algerian cities is one of the most important researches and writings that require a lot of scrutiny and examination due to the importance of these cities and the important events and major incidents that occurred in them. Therefore, their history is considered one of the historical issues raised by researchers in the context of formulating the history of Algeria in general and the history of its cities in particular, because these Algerian cities have often been subjected to the obliteration and distortion of their history. The city of Oran has been subjected to many demolition, obliteration and sabotage operations of most of its facilities and its civilized landmarks: urban, artistic, religious, cultural and economic, especially by the Spanish and then by the French after that., Through this article, we will discuss the history of the city of Oran through one of its scholars, Sidi Muhammad bin Omar Al-Hawari, and his historical role in it, through his biography and shedding light on the most important historical

aspects of this city during his reign. And in conclusion, we will review his most important historical roles in this city.

Keywords : Muhammad bin Omar Al-Hawari - the city of Oran
- the historical role - historical events - Oran society.

مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

تعتبر مدينة وهران من أهم المدن التي حظيت بأهمية تاريخية كبيرة، حيث كانت محلاً لأطماع كثير من الحضارات والممالك، ومن هنا فقد سيطرت عليها شعوبٌ عديدة على امتداد التاريخ من الأمازيغ، إلى العرب، فالأوروبيين، فالعثمانيين، لذا فإنّ مدينة وهران تعتبر كنزاً حضارياً حقيقياً، فقد أسهمت هذه الأمم في إثراء ثقافتها، وبعد أن استقلتّ الجزائر عن الإستعمار الفرنسي، باتت مدينة وهران ثاني أهمّ المدن في البلاد بعد مدينة الجزائر العاصمة، حيث تمتاز بازدهار الأنشطة الاقتصادية فيها، وتنوعها، ولقد كانت مدينة وهران في عهد الشيخ محمد بن عمر الهواري مزدهرة في كل المجالات الحضارية ولا سيما العلمية والثقافية منها حيث درّس وعلم فيها وكوّن طلبة وعلماء كان لهم الأثر التاريخي على هذه المدينة من خلال علمهم وثقافتهم التاريخية، وعلى هذا فإنّ إشكالية هذا المقال جاءت : ما هو الدور التاريخي للإمام محمد بن عمر الهواري في مدينة وهران؟،

ولقد حاولت في هذا المقال أن أتطرق في المبحث الأول: لسيرة الإمام ونشأته ورحلاته العلمية ورجوعه إلى وهران واستقراره فيها، ثم في المبحث الثاني تمّ التطرق إلى الدور التاريخي الذي قام به في مدينة وهران، والأحداث التاريخية التي وقعت في عهده، وكيف أثر في المجتمع الوهراني آنذاك، واعتمدت في هذا المقال على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بوصف الأحداث والوقائع التاريخية في عهد الإمام ومن ثمّ التطرق إلى شيء من التحليل لها.

- المبحث الأول: التعريف بالإمام محمد بن عمر الهواري:

- نشأته ومولده.

هو محمد بن عمر بن عثمان سبع بن عياشة بن سيد الناس بن خير الغياري المغراوي¹، ولد رضي الله عنه عام 751هـ/1350م بهوارة، وفيها قضى أيام طفولته إذ نشأ بين أبوين كريمين في أسرة متدينة رعاها أبوه منذ نعومة أظافره، وقد لا حظ عليه علامات النباهة والذكاء فاهتم به وبتربيته اهتماما بالغا.

¹ محمد بن سعد، روضة النسرین فی التعریف بالأشیاء الربعة المتأخرین، تحقیق: یحيى بوعزیز، منشورات ANEP، الطبعة الأولى (1905-2002)، ص 15.

وما أن بلغ السن الذي يمكنه أن يبدأ فيه التعلم فكر والده الذي كان حاملاً لكتاب الله وكان من رؤساء القوم وسادتهم موسوماً بالجود والإيثار، وعلو المهمة لذلك اختار لولده محمد شيخاً يتولى تعليمه وتربيته، وكان ذلك الشيخ هو سيدي علي بن عيسى ولم تذكر المصادر عنه أي شيء²، وقد عهد إليه الوالد الاعتناء بابنه وحمله أمانة تعليمه وتربيته ووجهه نحو التزام جانب الترغيب في تعليمه فقال له: "يا علي إياك أن تضجر هذا الولد أو تسوطه، فإني أرجو من الله أن³ يفرحني به ومنه أسأل تسديده ومعونته"⁴. ونستشف من وصية الوالد لشيخ ابنه أنه كان على دراية بمنهجية التربية والتعليم وأنه كان لا يحبذ الضرب والترهيب، وهما أمران يتنافيان مع السلوك المنهجي البيداغوجي التربوي.

كما نستشف منه أنه كان على درجة عالية من الفهم والفراسة كثير الرجاء في الله، لذلك رجا الله تبارك وتعالى أن يبلغه مراده في ولده، وتحقق ذلك وصدقت فراسته، وصدق قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول

² بوداود عبيد، محمد بن عمر الهواري: التعريف به وبنزعتة الصوفية، مجلة عصور، عدد 2-1423هـ- ديسمبر 2002م، ص 41.

⁴ المرجع نفسه، ص 42.

الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"⁵ ثم قرأ: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَكِّلِينَ"⁶. أي للمتفرسين عند بعض أهل العلم.

- رحلاته العلمية:

حفظ الإمام محمد بن عمر الهواري القرآن الكريم في سنٍّ مبكّر لم يتجاوز عشر سنين، وتاقت نفسه إلى طلب العلم والمعرفة، فرحل شرقا حتى نزل بقرية كلميتو شرق مستغانم والتي تسمى حاليا قرية سيدي علي كسان، حيث تلقى تربيته الصوفية على يد شيخ صوفي كان يتعبد في غار هناك، فأكرم الشيخ وفادته ودعا له أن يكون من أهل الطريق⁷، وذلك لما رآه عليه من أمارات الصلاح وصدق نيته، وفي هذا يقول الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي في إحدى قصائده: من جانا بالصدق ريناه وبلغ في نهاروا.

وما إن حصل الإمام محمد بن عمر الهواري منيته ومراده استأذن في الرحيل إلى طلب المزيد من العلم والمعرفة وإلى من يأخذ بيده فيقطع به المراحل، فكلفه ذلك أن جال في أرض الله فقطع الصحاري والفيافي يأكل ما وجد وينام حيث انتهى به المقام، لا يبالي بالوحوش

⁵ الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصّار، دار الكتب العلمية- لبنان- رقم الحديث: (3127). الجزء 4، ص 149.

⁶ سورة الحجر، الآية: 75.

⁷ محمد بن سعد، المصدر السابق، ص 49.

والسباع لأن مطلوبه كان أعلى وأشرف وأسنى وذلك هو شأن الصالحين والعلماء العاملين من أمة سيدي المرسلين الذين قذف الله في قلوبهم ذوق حلاوة الإيمان حتى خلطت بشاشة قلوبهم فتواجدوا ووجدوا واستوحشوا من الدنيا وأهلها واستأنسوا بمعبودهم، فلما علم منهم الصدق فتح عليهم وقرَّبهم.

- رحلته إلى بجاية:

واصل سيدي محمد الهواري رحلته إلى مدينة بجاية التي اشتهرت آنذاك بالزاويا والكتاتيب، وكانت إحدى قلع العلم وبها كان قد نزل الشيخ سيدي بومدين شعيب التلمساني بعد مقدمه من الشام ومشاركته في الحروب الصليبية مع صلاح الدين الأيوبي، فمكث سيدي محمد الهواري بها مدة زمنية يطلب العلم والطريق أي علم الشريعة وعلم الحقيقة، واتصل بأجل علمائها ومشايخها وأخذ عن الشيخ الوغليسي وأحمد بن أدريس وانطوت له المسافة فحاز مرتبة في العلم والمعرفة انتهت بإجازة مشائخه، وكثيرا ما كان يثني على أهل بجاية وأنه لم يرى مثلهم في الصدق والورع حتى قال في نظمه المسمى بالتسهيل⁸:

لو وصفت لك ما ريت في بجاية وهي هيا بلد الورع والعلم وترابي حقيقيا

- رحلته إلى فاس:

⁸ محمد بن سعد، المصدر السابق، ص 52.

إن الله تعالى متى علم من عباده ولا سيما الأولياء والصالحين منهم الصدق قذف في قلوبهم نورًا يحرك به خواطرهم ليجولوا في ملكه ويفكرون في آياته وآلائه ونعمائه، ومن فوائد ذلك أن يزداد العالم الطالب تبصرة وشوقا إلى المعرفة، وقد جرت عادة الله تبارك وتعالى مع أهله الذين اختصهم بالقرب أن يوحشهم من الخلق ليجمع قلوبهم عليه، فيزدادون بذلك دنوا وقربا ويتلقون من العلم ما لا يخطه قلم ولا يتسع له قرطاس.

وذلك هو الوجد الذي يحدث عنه القوم ويكون مصحوبا بأحوال نورانية يتولد عنها ذوق رفيع، فيتلذذون بالمناجاة ويتلذذون بالذكر فيفتح الله عليهم ويمدهم من أسرارهِ وأنوارهِ، فما خطرت فكرة على قلوبهم إلا رفعوها إلى محبوبهم فتأتيهم الرسائل، وذلك هو الذي يعبر عنه القوم بالمكاشفة والمشاهدة، ولقد خرج سيدي محمد الهواري من بجاية قاصدا مدينة فاس فوصلها قدس الله سره فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا منشدا طلب الحقيقة وبلوغ ما بلغته الرجال، ويحدثنا رضي الله عن رحلته إلى فاس فيقول⁹:

دخلت فاس غريب وقد آويت للسعا وقد نشتهي خبزا أو كسكسو شبعاً
وبها أخذ ينهل من طريق التصوف حتى يشفي ظمأه للحقيقة وأخذ عن الشيخ
سيدي موسى العبدوسي وعن علماء الفقه وعن أرباب علم الكلام كسيدي أحمد القباب،

⁹ محمد بن سعد، المصدر السابق، ص 53.

وكان سيدي محمد الهواري ذا مكانة عند أهل فاس، بل حتى المشايخ يعظمونه ويقدرونه ويخاطبونه بالسيادة مع أنه أصغر منهم بكثير، ومن ذلك قوله في تبصرة السائل:

بلدا دخلت نصيب أناس تألف يل مثل الأمير يعرف بالدخايل

- رحلته إلى المشرق:

ومن فاس انتقل سيدي محمد الهواري لأداء فريضة الحج وبقي هناك أعواما يغترف العلم من علماء الحجاز، ومن الحجاز ذهب إلى بيت المقدس ليحصل له فضل الصلاة في المساجد الثلاثة المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ثم ذهب إلى مصر و أخذ العلم على الحافظ العراقي وغيره¹⁰، وبعد هذه الرحلة الطويلة رجع إلى بلده الوطن الحبيب وإلى مدينة وهران حيث استقر به المقام هناك، ونشر العلم ودعا إلى الله بحاله وقاله، وظهرت ولايته وانتفع به خلق كثير وكان بمثابة الأب لسكان هاته المدينة وللوافدين عليها.

- المبحث الثاني: الأحداث التاريخية في عهد سيدي محمد بن عمر الهواري

بمدينة وهران

¹⁰ محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الطبعة الأولى 2013م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص57.

لما استقر المقام بسيدي محمد بن عمر الهواري بمدينة وهران والتي كانت آنذاك تعج بالنشاط الإقتصادي والعمراني والثقافي والاجتماعي، واستقطبت جموعا غفيرة من المهاجرين الأندلسيين الذين حملوا إليها حيويتهم السياسية، ومهارتهم الفنية: المعمارية والصناعية والثقافية.

وكذلك من خلال ما كانت تعج به هذه المدينة استهوت سيدي محمد بن عمر الهواري وفضل الإقامة والاستقرار بها وتصدى للتعليم والتدريس، والتف حوله عدد كبير من طلبة العلم أغلبهم قدم إليه من الآفاق البعيدة، كما تصدى لتلقين الأذكار والأوراد لعدد آخر من المريدين من الناحية الدينية، وصادف نجاحا وإقبالا كبيرين ولما كان كتابه " السهو والتنبيه" ألفه بالدرجة، فقد حاول تلميذه أبو عبد الرحمن مقلاش أن يصلح ما به من أخطاء نحوية ولغوية، فاعترض عليه وقال له: دع سهرك عندك، ولترك سهري لي، ونهره عن فعله ذلك¹¹.

ولقد عاش سيدي محمد بن عمر الهواري أحداثا تاريخية في مدينة وهران وكان له دور فيها فمن بين الأحداث التي كتن له دور فيها:

¹¹ يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع - الجزائر - طبعة 2009م، ص 116.

- أحداث زحف سلطان تونس الحفصي أبي فارس عزوز على مدينة تلمسان ثم
وهران، فتوسط أميرها الزياني أحمد العاقل بالشيخ الحسن أبركان التلمساني ليطل من
الشيخ سيدي محمد بن عمر الهواري أن يتدخل لدى سلطان تونس من أجل إبرام
الصلح وحقن الدماء وتجنب تلمسان مخاطر الغزو، وهذا يدل على المكانة التي كانت
للشيخ محمد بن عمر الهواري آنذاك¹².

- ومما يشاع ولا أساس له من الصحة ما نقله بعض تلامذة الشيخ سيدي محمد بن
عمر الهواري وشاع بعد ذلك وانتشر في كتابات الأوروبيين، أن الشيخ محمد بن عمر
الهواري هو الذي دعا على وهران حتى احتلها الإسبان، وذلك أن بعض الناس من
سكانها قبضوا على ابن له هائج لمرض ألمّ به على ما يبدوا حتى لقبوه بالهائج، وقتلوه
وزعموا أنهم حكموا فيه الشرع الإسلامي، فسكت الشيخ وتحمل المصيبة على مض،
ولكن زوجته غضبت وألحت عليه في الإقتصاص، وضربت له عدة أمثلة من الواقع حتى
أثرت فيه فاتصل بقاتلي ابنه وحاججهم وزعموا له بأن ابنه هائج استوجب القتل وطبقوا
في قتله حكم الله فعارضهم وأكد براءة ابنه مما نسب له.

¹² يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 116.

واشتد غضبه فدعا على وهران بقوله: روحي يا وهران الفاسقة يا كثيرة الجور
والبغي والطارقة يا ذوات الأهل الباغية السارقة، إني بعثك بيعة لنصارى مالقة وجالقة إلى
يوم البعث والتالفة، مهما ترجعي فأنت طالقة، ولما سأله أحد تلاميذه الشيخ إبراهيم
التازي قائلاً: والفرج ياسيدي استدرك وقال: والفرج لاحقة¹³.

ومن خلال هذا الدعاء الذي دعاه سيدي محمد بن عمر الهواري على مدينة
وهران وقد افترى عليه، احتل فعلا الإسبان وهران بعد 72 عاما من تاريخ هذا الدعاء
الذي نسب إلى الشيخ محمد بن عمر الهواري بهتانا وزورا، كيف وهو الذي لا يرضى ولو
مع غضبه بأن تسقط مدينته أو أية مدينة إسلامية أخرى في أيدي عدو نصراني كافر
خاصة في مثل تلك الظروف التي تكالب فيها النصارى الإسبان وغيرهم على احتلال
واستعمار البلدان المغربية الإسلامية في إطار الحروب الصليبية البغيضة، وإلا فلا معنى
لولايته وزهده وعلمه وتدينه وحاشاه من ذلك¹⁴.

¹³ يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 117.

¹⁴ المصدر نفسه، ص 117.

ومما يدل على عدم صحة هذا الذي نسب إلى سيدي الشيخ محمد بن عمر الهواري من أنه دعا على وهران ، أنه بقي يواصل نشاطه الديني والثقافي والاجتماعي فيها حتى توفي 843هـ / 1439م، ودفن بأسفل حي القصبة العتيق، وبني على قبره ضريح ومسجد ما يزالان قائمين حتى اليوم، والضريح يزار، والمسجد عامر تؤدي فيه الصلوات الخمس والجمعة وبه تشتهر مدينة وهران حتى اليوم وتنسب إليه¹⁵.

- خاتمة:

من خلال ما سبق في هذا القول يمكن القول أن مدينة وهران كان لها تاريخ حافل بالأحداث والوقائع، وهي مدينة ذات ماضي حضاري مشرق ومتنوع عمراني اقتصادي ثقافي صناعي اجتماعي سياسي، وبالرغم من النكسات التي تعرضت لها هذه المدينة عبر التاريخ، إلا أنه لا يزال قاموس هذه المدينة التاريخي يحفل بروافد أهل العلم والفكر والثقافة والتراجم والولاية والصالح.

ومن هنا فإن الإمام محمد بن عمر الهواري، من الذين ساهموا في التاريخ الحافل لهذه المدينة من خلال العلم الذي نشره وعلمه لأبناء هذه المدينة، ومن خلال الفضائل القيمة والأخلاق الحسنة التي نشرها في المجتمع الوهراني وغيره، ومن خلال كذلك دفاعه

المصدر نفسه، ص 117.15

عنها وذلك بالتصدي في وجه كل من سوّلت له نفسه في التعدي على هذه المدينة، كذلك لاحظنا أنه نُسب للإمام محمد بن عمر الهواري أنه دعا على وهران، والحقيقة أنه لم يدع عليها أبداً وإنما كان ذلك من اتهامات ودسائس المستشرقين في كتبهم حتى يشككوا في علماء وصلحاء مدينة وهران، ولذلك الدور التاريخي الذي قام به الإمام في هذه المدينة كان له الأثر الكبير في ازدهارها في كل المجالات الحضارية.

- قائمة المراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش
- السنة النبوية الشريفة
- الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصّار، دار الكتب العلمية- لبنان- رقم الحديث: (3127). الجزء 4.
- محمد بن سعد، روضة النسرین في التعريف بالأشیاخ الربعة المتأخرین، تحقيق: يحي بوعزيز، ، الطبعة الأولى (1905-2002)، منشورات ANEP.
- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع - الجزائر - طبعة 2009م.

- محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الطبعة الأولى 2013م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- المقالات:
- بوداود عبيد، محمد بن عمر الهواري: التعريف به وبنزعتة الصوفية، مجلة عصور، جامعة وهران 1، عدد 2-1423هـ- ديسمبر 2002م.